وبالية . اي انها في تحقيق اهدافها تكون قد تجاوزت نفسها وابطلت ذاتها . لكنه سرعان ما يبادر الى قطع الطريق على كل التمنيات من هذا القبيل ، فيقول : « من الطبيعي ان النظام السياسي للحكم الذي قاد الصهيونية الى عصرهـــا البطولي ليس بالنظام الذي يتخلى عن السلطة طوعا وبسهولة . فالبنـــاء الفوقي ، الايديولوجـــي والسياسي ، للصهيونية ما زال يمارس تأثيرا هائلا في اسرائيل . وقيام الدولة لم يغير ذلك . والحق انه لم يبدل تبديلا يستحق الذكر في التركيب الشخصي والسياسي للطبقة القائدة في البلاد. لذا فانه من الصعب جدا الاجابة على سؤال من طراز: هل اسرائيل دولة صهيونية؟»(٥).
وعلى الرغم مما تعنيه لفظة « صهيونية » ــ على حـــد قول آفنيري ــ بالنسبة للجيل الجديد من الشبان المولودين في اسرائيل ، اذ يجري تشبيهها بالهراء أو الشعار الفارغ، فان أبناء هذا الجيل بالذات « قد يتعلقون عن غير وعي بالافكار الصهيونية التي يعرفون انهـــا برهنت على خطأها » . الا يمكن الاستدلال من هذا الاعتـــراف بأن الجيل الذي ينسبون اليه ابتعادا عن الصهيونية أو لامبالاة بها هو في الواقع ذلك الجيل الذي تربى عليها وترعرع في كنفها وما زال على تعلقه اللاواعي بها رغم الاخطاء التي تعتريها .
ان آفنيري لا ينكر ابدا وجود مرتكزات أساسية للعقيدة الصهيونية ، وهي مرتكزات تؤلف المناخ الفكري السائد في اسرائيل. فالمدارس تعلم طلابها جوهر الصهيونية والحياة السياسية شديدة الصلة بالاتجاه الصهيوني ، كما ان الصحافـــة تمارس نشاطها من خلال الاطار الصهيوني العام . والنظـــام القائم في اسرائيل يعتبـــر مرتكزات العقيدة الصهيونية بمثابة جوهره الاساسي ومقومات وجوده . فكيف يتوقع دعاة ازالة الطابع الصهيوني عن اسرائيل ان يتم ذلك ؟
ان صهيونية اسرائيل ليست بالقشرة البرانية التي يمكن انتزاعها في سبيل الوصول الى عقد الصلح واحلال السلام . ومن المؤكد ان عقد الصلح مع دولة اسرائيل لن يقلل من شأن طابعها الصهيوني ، ولن يكون من نتائجه اضعاف التزاماتها الصهيونية أبدا . بل على العكس من ذلك تماما . اذ سوف تجد العقيدة الصهيونية في ظل الاوضاع الجديدة متسعا من المجال لتنفيذ مرتكزاتها الاخرى بالطرق السلمية وتوسيع رقعة نشاطاتها وتحقيق المزيد من الانتصارات التي تتطلع اليها منذ زمن بعيد . فلا ننسى مطلقا بأن هرتزل كان سباقا في وصف الصهيونية بـــ « صانعة السلام » ، مثلما ان ماكس نوردو وغيره من زعماء الحركة توسموا في الدعوة الصهيونية تلك الحركة التي تحمل مشعل التمدن الى شعوب الشرق وتعمل على توسيع حدود الحضارة الاوروبية حتى تصل الى الفرات شرقا . وليس من المتوقع أو المعقول أن تتجرد العقيدة الصهيونية من مرتكزاتها ومقوماتها الاساسية لتنقلب على نفسها وتخرج من جلدها محاولة القفز فوق ظلها . اذ كيف يقدم المنتصر على اطراح أسباب انتصاره جانبا ، متى أمكنه تحقيق السلام دون التضحية بشيء من مكاسبه الحقيقية او التنازل عن العناصر الاساسية لقوته الرادعة والمنفذة لمآربه القريبة منها والبعيدة .
ان الدعوة الرامية الى تصوير اسرائيل بلا صهيونية والمنادية بتجريد الدولة اليهودية من طابعها الصهيوني وازالة الصفة الصهيونية عنها سوف تبقى محصورة ضمن نطاق ضيق جدا ، ولن تتهيأ لها أسباب النجاح والانتشار الواسع . والصلح الذي نفترض حدوثه لن يتم مع اسرائيل كما يتمناها أصحاب تلك الدعوة ان تكون ، بل مع اسرائيل في واقعها الصهيوني وكافة الابعاد التي ينطوي عليها هذا الواقع . فمن السابق لأوانه ، لا بل هو أشبه بضرب من المحال ، توقع زوال الصبغة الصهيونية عن اسرائيل القائمـــة في ظل الصلح والسلام مع العرب . آن الروابط الصهيونية التي تشد اسرائيل الى يهود العالم ما برحت تزداد قوة ومتانة حتى بعد تحقيق هدف الصهيونية بقيام دولة اسرائيل .
ولا غرو فان المناداة بشعار زائف من طراز « اسرائيل بلا صهيونية » ترمي من جملة ما ترمي اليه لتشجيع العرب على القبول بالكيان الصهيوني في وسطهم والاعتراف بحقه في